

## تطور الهوية الثقافية الجزائرية بعد إنتشار الإسلام

اعتنق الأمازيغ الإسلام منذ ظهوره في سنواته الأولى، وقد ذهب وفد منهم إلى عمر بن الخطاب ليتعرفوا على هذا الدين الجديد أكثر، وقد سألهم من أنتم، فقالوا له أنهم "من مازيغ بن كنعان بن سام بن نوح"، وبدأ إنتشار الإسلام شيئاً فشيئاً، فانقسم الأمازيغ إلى فريقين المسلمين وغير المسلمين، وقد دعم العرب الطرف الإسلامي في الصراع بينهما، كما استعان القليل منهم بالبنزنيين لمواجهة المسلمين، فهو صراع بين أمازيغ بسبب الإسلام مدعوم بقوى دولية خارجية، لكن دخل الأمازيغ في الإسلام مئة بالمئة، وهي ظاهرة لم يعرفها إلا هذا الشعب مما يتطلب البحث في الإجابة عنها ولماذا؟

اختلفت تفسير هذه الظاهرة، فنجد عدة طروحات ومنها:

-أنهم على الفطرة

-وجودهم على الوثنية وعدم تجذر أديان سماوية فيهم

-إكتشافهم عدالة الإسلام وعدم مساسه بثقافتهم وهويتهم وأعرافهم

-وجود المسيحية الدونانية عندهم وهي القريبة من مسيحية سيدنا عيسى جعلتهم ينتقلون

بسرعة إلى الإسلام

-إعتناقهم الإسلام نكاية في الروم وكل الغزاة الذين كانوا يأتونهم من شمال المتوسط، خاصة وأن الأمازيغي من طبيعته رفض كل من يحاول فرض المعتقدات عليهن ويبدو أنه ما يكذب الذين أرادوا أن يجعلوا من فكرة أن الإسلام انتشر بالقوة لدى الأمازيغ لأن طبيعتهم تنبذ ذلك ولهذا يرفض لإطلاقاً تكرار عبارة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب لأنه ليس صحيحاً ويفضل إستخدام العبارة السليمة وهي إعتناق الأمازيغ للإسلام .

وقد نتج عن إعتناق الأمازيغ الإسلام وحبهم له سعيهم لنشره في بقاع الأرض ففتحوا الأندلس على يد طارق بن زياد الذي قاد جيشاً أمازيغياً إلى هناك، كما كانوا وراء نشره في أفريقيا جنوب الصحراء، لكن رافق إعتناقهم الإسلام عملية تعريب واسعة، وقد عرفتها المناطق الساحلية والمراكز الحضرية خاصة على عكس الجبال والبادي التي لا زالت إلى اليوم محافظة على الأمازيغية بمختلف لهجاتها، فما هو تفسير عملية تعريب الأمازيغ عامة والجزائريين منهم خاصة ؟

تختلف الطروحات المفسرة لهذه الظاهرة ومنها:

-حب الإسلام لدرجة التخلي عن اللغة الأصلية الأمازيغية وتبني لغة القرآن الكريم

-إيجاد لغة تتماشى مع دينهم ومتطورة من ناحية التعبير الكتابي على عكس الأمازيغية التي

أصبحت ضعيفة لكونها قديمة وتعرضت للطمس من مختلف الغزاة الذين مروا على البلاد .

-تعريب المناطق التي كانت تتحدث البونيقية من قبل بحكم أنها قريبة من اللغة العربية .

-إنبهار وإعجاب الأمازيغ بالعرب بصفتهن حاملو الرسالة الإسلامية وناشروها، فتنبوا

لغتهم بصفتها لغة الحضارة آنذاك، ووصل أمر هذا الإعجاب إلى درجة إنكار الكثير من الأمازيغ لأصولهم وتبني أصلاً عربياً ولو بإختلاق أوهام، ولعل ذلك يعود إلى عقدة نقص لديهم آنذاك، كما قال فرانس فانون عن الزنجي أ،ه له عقدة نقص تجاه الأبيض، فكان يتمنى لو يحول لون بشرته إلى اللون الأبيض لكنه لا يستطيع ويعبر عنها فانون بعبارة " بشرة سوداء، قناع أبيض"، لكن سهل الأمر على الأمازيغي لأن بشرته وسماته لا تختلف كثيراً عن بشرة وسمات الإنسان العربي، وهو ما يفسر لنا إعتقاد الكثير من الأمازيغ بأنهم عرب، وهو ليس صحيحاً لأن دخول الأمازيغ في الإسلام لم يحدث تغييراً كبيراً في البنية السكانية بل أحدثها في البنية الثقافية بتبني الأمازيغ عن

حب وطواعية للدين الإسلامي واللغة العربية، بل تبني البعض منهم الجنسية العربية كما وضحنا ذلك من قبل .

-العامل الجغرافي ومدى القرب من مراكز السلطة والدولة، ولهذا تعربت المراكز الحضرية والمدن على عكس الصحراء والجبال البعيدة عن هذه المراكز .  
وباعتناق الأمازيغ الإسلام تشكلت هوية ثقافية جديدة، وذلك بإضافة العقيدة الإسلامية الذي يتعد العامل الرئيس المؤثر في المجال الثقافي والحضاري، بالإضافة إلى تبني اللغة العربية كلغة رسمية لدى مختلف الدول الإسلامية في بلاد المغرب التي كانت أمازيغية في التكوين والسلطة، لكن دون إهمال العمق الأمازيغي للإنسان الجزائري خاصة والمغاربي عامة، ولهذا يتكلم الباحثون عن إسلام مغاربي خاص لأنه له الصبغة الأمازيغية، بل بقيت في الممارسات الدينية الإسلامية البعض من الممارسات الوثنية التي كانت موجودة من قبل .

أما في مجال اللغة العربية فأول ما يلاحظه الإنسان والباحث هو أن العربية الجزائرية قبل أن تختلط بالفرنسية فيما بعد هي نوع من خليط بين العربية والأمازيغية أي مثل البونيقية، لكنها عربية قريبة في كلماتها العربية من القرآن الكريم، ولم يأخذها من مختلف الدارجات العربية التي كانت موجودة غي شبه الجزيرة العربية قبل نزول القرآن الكريم، ويعترف علماء إجتماع اللغة بأن الغريب عن اللغة هو الذي يعرف اللغة الغربية عنه بأصلها لأنه لا يعرف دارجتها، وهذا هو ما يفسر القرب الكبير للعربية الجزائرية بالعربية الأصيلة .

ولهذا تشكلت الهوية الثقافية الجزائرية بسماتها الأمازيغية التي تبرز بشكل كبير في الذننيات والسلوكات والعادات والتقاليد وغيرها، وكأنها روح الأمة وموغة في عمقها، لكن هذبت هذه الذهنية بالتأثير الإسلامي الذي يعد أسمنت هذه الهوية وما انبثق عنها من لغة عربية فصحي يعبر بها الجزائري عن ثقافته المكتوبة والرسمية إلى جانب عربية عامية جزائرية ولغة أمازيغية بلهجات مختلفة يعبر بها عن ثقافته الشعبية والشفوية، لكن هذا لم يمنع تأثر الجزائري نتيجة تئاقف بالثقافة التركية ثم الإسبانية والفرنسية والعالمية اليوم، لكن دائما يبقى أمازيغي الجذور والذهنية والروح وإسلامي المعتقد وثقافة عربية-أمازيغية-إسلامية هي الغالبة على الإنسان الجزائري وثقافته وهويته .